مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة

مجلة

مجمع اللغة العربية

على الشبكة العالمية

السنة الثامنة

العدد الثاني والعشرون، رجب ١٤٤١هـ

فبراير– مارس ٢٠١٩م

مجلة علميّة، محكَّمة، تُعنى بنشر البحوث والدّراسات في اللّغةِ العربية،

ونشرِ قرارات المجمع وآرائه وتنبيهاته ومقالاته وأخباره.

(تصدرُ مرةً كلَّ أربعة أشهر)

برعاية

مركز البحوث والتواصل المعرفي
Center for Research & Intercommunication Knowledge

أهداف المجلة

- تهدفُ المجلة إلى نشرِ البحث العلميّ في علوم اللغة العربية كافةً، ونشرِ قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاتِه اللّغوية، كما تهدفُ إلى جمع قرارات المجامع السابقة ومتابعتها، وتوصياتِ مؤتمراتها وندَواتها العلمية.. والمفضَّل للنشر لديها من البحوث هو:
  - الدّراسات التي تخدمُ اللّغة العربية تيسيرًا، وتقريبًا، وترغيبًا، وتصفيةً.
  - البحوث والمقالات المعنيّة بدراسة الألفاظ، والأساليب، واللهجات، والمصطلحات: تأصيلًا وتصحيحًا، وتعريبًا، وترجمةً، وشرحًا.
  - النصوص التراثية المحققة.

منهاج النشر في المجلة:

١- أن يتَّسمَ البحث بالأصالة والجِدّة، والمنهجية السليمة، ويُراعَى فيه قواعدُ السلامة اللغوية.

٢- أن يكون منسقًا وَفْقَ ضوابط النشر المعتمدة في مجلة المجمع.

٣- ألَّا يكون مستلًّا من بحث سابق، أو منشورًا في جهة أخرى، أو مقدَّمًا لها.

٤- أنْ يُراعى في كتابة البحثِ قواعدُ الإملاء والترقيم المتبعة، إلا في الآيات الكريمة، فتُكتب وَفْقَ الرسمِ العثمانيّ، ويُراعى فيه مقدارُ الحاجةِ في التشكيلِ دونَ المبالغةِ، فلا يُضبطُ بالشكل التامّ سِوى النصوصِ المحققةِ، والأحاديثِ الشريفةِ، والأبيات الشعريةِ، ونحوِها.

٥- أن يكون البحث مكتوبًا بصيغةِ وورد، على ورقٍ ذي مقاسِ (١٧- ٢٤)، بخط «العربي التقليدي» «Traditional Arabic» (بنط ١٦ للمتن، و١٢ للحاشية) للنص العربي، وخط « Times New Roman» للنص الإنجليزي (بنط ١٤ للمتن، و١٢ للحاشية).

٦- ألَّا يجاوزَ البحثُ عشرةَ آلافِ (١٠٠٠٠) كلمةٍ، (أي خمسين صفحةً بمعايير المجلة)؛ ولا يجاوزَ المقالُ أربعةَ آلافِ (٤٠٠٠) كلمةٍ، (أي عشرين صفحةً بمعايير المجلة).

٧- أن يكون البحث مشفوعًا بموجز للسيرة الذاتية للباحث، مع ملخَّص ثنائيّ اللغة (عربي وإنجليزي).

٨- تخضعُ البحوث الواردة للتحكيم العلميّ، وقبولُها مرهونٌ بالنظر في التعديلات المقترَحة.

٩- كلُّ رأيٍ مقرونٍ بالدّليل أو النظر يسعُ المجلّةَ قبولُه، وما كان دون ذلك فمسؤوليته على قائله أو ناقله.

تُرسل البحوث باسم رئيس التحرير على عنوان المجمع، أو بريده الشبكي:

المملكة العربية السعودية – ص ب: ٦٥٥٩، مكة: ٢١٩٥٥.

هاتف وفاكس: ١٢٥٤٠٢٩٩٩ (٩٦٦+) – جوال: ٥٥٤٠٢١٩٩٩ (٩٦٦+).

E.M :m-a-arabia@hotmail.com WEB :www.m-a-arabia.com

رقم الإيداع ١٤٣٤/٧٢٢٢-تاريخ١٤٣٤/٧/١٩هـ-ردمك ٦٥٣٠-١٦٥٨.

مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

صاحب الامتياز ورئيس التحرير

أ.د. عبدالعزيز بن علي الحربيّ

مدير التحرير

أ.د. سعد حمدان الغاميديّ

هيئة التحرير

د. عبدالعزيز بن ردَّة الطلحي

د. سعد بن محمد القحطاني

أمانة التحرير

أحمد سالم الشنقيطيّ

عبدالله بن جابر البصراويّ

ثمن المجلة: في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية (٢٥) ريالًا. وفي البلدان الأخرى: (٦) دولارات.

الاشتراكات السنوية للأعداد الثلاثة: للأفراد: (١٥٠) ريالًا في الداخل، أو (٥٠) دولارًا في الخارج. للهيئات والمؤسسات والدوائر الحكومية: (٤٠٠) ريال في الداخل، أو (١٠٠) دولار في الخارج.

تُرسَل الاشتراكات بشيك بنكي باسم: **مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية**.

أو على رقم حساب المجمع بالبنك الأهلي: **SA57 1000 0000 6678 2000 0103**.

(٣)

أثر التشاكل في انسجام بنية القصص القرآني - سورة الأعراف أنموذجاً

د. حنان عبد الله سحيم الغامدي

- أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية اللغات والترجمة بجامعة جدة.

أثر التشاكل في انسجام بنية القصص القرآني:
سورة الأعراف أنموذجًا

تهدف الدراسات العلمية واللغوية الحديثة حول القرآن الكريم إلى تطوير الدراسات الأدبية وإبراز نماذج من إعجازه الذي أبهر العقول وأخرس الألسنة، وقياس كفاءة بعض النظريات والدراسات الحديثة في تقديم صورة بيانية ومنهجية لبنيته التركيبية، ومن هذا المنطلق سعت الدراسة إلى الكشف عن قدرة آلية التشاكل في تقديم قراءة منسجمة لقصص الأنبياء- عليهم السلام- في السياق الواحد، فقسمت -لهذا الغرض- إلى مبحثين، الأول تنظيري يقدم مقاربة نظرية لواقع الدراسات الأدبية في القرآن الكريم، ثم يعرّف بآلية التشاكل وطرق توظيفها في مجال الدرس النقدي، والثاني تطبيقي يطبق التشاكل على القصص القرآني في سورة الأعراف، فيتوقف عند مساراتها، وألفاظها وأبنيتها في تأصيل لرؤية التشاكل في النص القرآني، واستعنت في سبيل ذلك بالمنهج الوصفي التحليلي لتوضيح أبعاد الصورة، وتحليل مساراتها، وخلصت الدراسة بعد تطبيق معطيات التشاكل إلى صورة من صور الإعجاز اللغوي والبياني في القصص القرآني، مبرهنة على قدرة الآلية على تقديم قراءة منسجمة للقصص في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القصص القرآني- التشاكل- الوحدات المعجمية- المسارات- العامل.

The effect of the Isotopie in the harmony of the structure of Quranic stories: Surat Al-Aaraf as a model

The modern scientific and linguistic studies on the Holy Quran aim to develop literary studies and to highlight examples of its miracles which dazzled the minds and tongues, and to measure the efficiency of some theories and modern studies in presenting graphic images, From this point of view, the study sought to reveal the ability of the mechanism of adaptation to provide a coherent reading of the stories of the prophets - peace be upon them - in the same context, divided for this purpose into two sections , the first theoretical provides a theoretical approach to the reality of studies, And then know the mechanism of the problems and methods of employment in the field of critical lesson, and the second application applied to the problems on the Koranic stories in the Koran, and stops at the trackm In order to achieve this, the researcher applied the analytical descriptive method to clarify the dimensions of the picture and analyze its paths. The study concluded after applying the data of the problems to a picture of the linguistic and the biblical miracles in the Quranic stories.

المقدمة

يُعدّ القصص القرآني وسيلة من وسائل القرآن الكريم في تحقيق مقاصد دينية وتربوية؛ تبليغًا للرسالة، وتهذيبًا للنفوس، وهو نظم سردي غير مألوف في السرديات، حقق التواصل مع المتلقي مازجًا بين الوقائع والأحداث والشخصيات في خطاب واحد، مهيئًا الأسباب النفسية والفكرية والعقلية؛ لتحقيق أقصى درجات التأثير في المتلقي.

والقصة القرآنية لها خصوصية تنبع من الداخل حيث البناء المحكم المتنامي بشكل سلس بحيث تتوزع أحداثها في سور عديدة، دون التزام بمسار زمني واحد على مستوى الكتابة، وهي قصة واقعية حقيقية لما وقع أو سيقع، بحيث لا تمثل (التاريخ) بمفهومه المنعزل عن السياق الثقافي والاجتماعي.

ومن هذا المنطلق وقع اختياري لإحدى آليات المنهج السيميائي، وهي التشاكل لقراءة صورة الانسجام الداخلي في قصص الأنبياء في القرآن الكريم موضوعًا لهذه الدراسة.

إشكالية الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في البحث عن كيفية إيراد القصص القرآني في السياق الواحد، وأهم المعايير التي تضبط ذلك النظم؛ لذا ستسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- كيف انتظمت بنية القصص القرآني في سياق السورة الواحدة؟
- ما الحكمة من توالي قصص الأنبياء المتعددة في السياق الواحد؟

- كيف يمكن استثمار أدوات النقد الحديث في قراءة الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

وللإجابة عن هذه الأسئلة نفترض وجود بناء متماثل من العلاقات التي تضبط هذا الإعجاز القرآني.

أهداف الدراسة:

١-استثمار أدوات النقد وتداخل مواضيعه مع البلاغة العربية من جهة، وتطور الدراسات اللغوية من جهة أخرى في تقديم قراءة جديدة للقصص القرآني بعامة، وقصص الأنبياء والرسل بخاصة.

٢-توظيف آليات التشاكل في كشف بنية انتظام المشاهد القصصية في القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة في إيضاح صورة من صور الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال الوقوف على آلية توالي القصص القرآني في السورة الواحدة، كما تروم الدراسة تكوين مسارات بنائية لانتظام القصص في السياق الواحد تسهيلًا لأمور الحفظ في القرآن الكريم من جهة، والإفادة من التشاكلات في كشف المتشابهات في القرآن الكريم فيما بعد من جهة أخرى.

الدراسات السابقة:

لم يُفرد التشاكل في القرآن الكريم بدراسة مستقلة بصورته البلاغية أو النقدية، وإنما وُجد بوصفه آلية من آليات الدارسين للكشف عن بلاغة القرآن الكريم في عدد من الدراسات، منها:

١-دراسة (العلاقات الدلالية في التعبير القرآني في سياقاتها المختلفة)[١]:

وهو بحث قُدِّم في المؤتمر العلمي السنوي الثالث لكلية التربية الأساسية في جامعة بابل، ونُشر في مجلة كلية التربية في الجامعة، تناول فيه الباحث العلاقات الدلالية في التعبير عن المعاني القرآنية من خلال القرائن، وتناول التشاكل في الدراسة كإحدى هذه العلاقات، حاصرًا مفهومه في المشاكلة اللفظية داخل السياق، ثم ربط المصطلح بالتقابل والتناظر المعنوي، وقدم نماذج لذلك.

٢-دراسة (التشاكل الصوتي القرآني وأثره في تكثيف الدلالات)[٢]:

وهو بحث منشور في مجلة جامعة ذي قار، ربطت فيه الباحثة التشاكل الصوتي في القرآن الكريم بالمقاطع الصوتية دلاليًّا، ثم قسمت التشاكلات الصوتية في القرآن إلى قسمين: تشاكل صوتي إفرادي، وآخر تركيبي، وحصرت مفهوم التشاكل في الآيات الكريمة في مصطلح الجناس، وصوره، وتقنيات الجرس القرآني، وخلصت إلى تنوع النماذج لهذه الصورة في القرآن الكريم.

٣-دراسة (سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية)[٣]:

(١) انظر: الشرع، عدوية عبد الجبار، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد الثاني، ٢٠١٠م.

(٢) انظر: خشيف، سعاد كريم، مجلة جامعة ذي قار، العدد الثاني، المجلد السادس، ٢٠١١م.

(٣) انظر: الحمداني، عبد القادر عبد الله، سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

وهي رسالة دكتوراه، عرض فيها الباحث لتشاكل الحواميم في مطالع بعض سور القرآن الكريم من حيث موضوعاتها التي استهلت بها السور المعنية بالدرس، وأبرز الأوجه البلاغية فيما بينها من خلال التوظيف البلاغي للمصطلح، والقائم على كتب التفسير والبلاغة والتذوق الفني للشواهد.

٤-دراسة (التشاكل الصوتي في القرآن الكريم)[١]:

وهو بحث منشور في مجلة جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، تناول التشاكل الصوتي في القرآن الكريم من حيث الصوامت وخصائصها، وتشاكلها مع المعاني والأغراض، وخلصت الدراسة إلى تمتع الأصوات بطاقات تصويرية وتعبيرية تؤدي إلى حدوث الانسجام في القرآن الكريم.

٥ – دراسة (الانزياح التركيبي في النص القرآني دراسة أسلوبية)[٢]:

وهو بحث منشور تناول فيها الباحث مظاهر الانزياحات التركيبية وما تحمله من دلالات، وتوقف عند الوصل والفصل مرجعًا صور الجماليات فيهما إلى التشاكل والتباين، وسيطرة التشاكلات على البنى السطحية والعميقة مما

(١) انظر: سهام، صياد، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد ٣٠، العدد ٤، ص٧٣، ١٠٨.

(٢) انظر: حمد، عبد الله خضير، الانزياح التركيبي في النص القرآني دراسة أسلوبية، عمان: دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

أفرز توترًا في السياق، وقد استخدم الباحث مصطلح التشاكل في الدراسة بمفهوم التضاد والتباين الباطني للمفردات في الآيات المستشهد بها.

والملاحظ على الدراسات السابقة عنايتها بتوظيف مصطلح (التشاكل) في سياقه البلاغي والصوتي وفق مفاهيم البلاغة العربية التقليدية، بينما تسعى هذه الدراسة إلى توظيف مصطلح (التشاكل) وفق معطيات الدرس النقدي المعاصر بعدّها أداة سيميائية تعزز مبدأ التوازي في بناء الشواهد داخل النصوص.

منهج الدراسة:

طبقت في هذه الدراسة آليات التشاكل في السورة المنتخبة وهي سورة (الأعراف) من خلال الوقوف على بعض وحداتها المعجمية، ومساراتها التصويرية، ونماذج التشاكل فيها، مستعينة بمعطيات المنهج الوصفي التحليلي في تتبع الظاهرة، وموظفة للأدوات السيميائية المناسبة في التحليل والدرس.

حدود الدراسة:

- قصص الأنبياء في سورة الأعراف.
- المفاهيم العلمية لنظرية التشاكل في الدرس الأدبي عند غريماس وكورتيس.

هيكل الدراسة:

قسمت الدراسة إلى تمهيد ومبحثين:

– التمهيد: ويقدم مقاربة عن واقع الدراسات القرآنية الحداثية، وصعوباتها الإجرائية.

– المبحث الأول: مقاربة نقدية للقصة القرآنية، والتعريف بالمصطلح الرئيس للدراسة (التشاكل)، وآليات تنفيذه في الدرس القرآني.

– المبحث الثاني: مظاهر التشاكل في قصص سورة الأعراف، من خلال تطبيق أدواته الإجرائية وطرقه.

مصطلحات الدراسة:

–التشاكل السيميائي: هو المصطلح المركزي في الدراسة، ويراد به التكرار للوحدات اللغوية التي تظهر في مستويات النص الصوتية، أو التركيبية، أو الدلالية، وستسعى الدراسة لتجلية المفهوم وإيضاحه.

–الانسجام: عرفه فان دايك على أنه "الأبنية الدلالية المحورية الكبرى[1]" وهو مفهوم يتجاوز الاتساق اتساعًا وشمولًا لحاجته لكشف العلاقات الخفية في النص.

وربما يتضح في نهاية الدراسة أن عرض القصص القرآني ما زال يمثل طريقًا طويلًا أمام البحث العلمي يمكن كشف معالمه بجهود الباحثين، ولا سيما من منظور الدراسات اللغوية الحديثة المتسلحة بالخلفية الثقافية والتفسيرية لهذه النصوص السماوية المقدسة.

(١) انظر: بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مصر: دار الفكر، ١٩٧٣م، ص ٢٣٢.

مدخل: القرآن الكريم والدراسات الأدبية الحديثة:

كان الهدف الأول لاشتغال علماء الأمة القدامى والمحدثين بالقرآن الكريم على اختلاف تخصصاتهم هو تفسيره وفهم مراده؛ اجتهادًا منهم، ورغبةً في خدمة كتاب المسلمين المقدس، فظهرت الدراسات التأويلية الحديثة التي اجتهدت في تطبيق مبادئ وآليات ومناهج حديثة في محاولة لنقل مفاهيم العلوم الإنسانية، ومصطلحاتها إلى الدرس القرآني، وظهرت الإشكالية في هذا المسار حين ظهر الخلط البيّن بين النصوص الربانية، والمناهج الوضعية، وحين لم تراع هذه المناهج الفروق القائمة بينهما سيما وأن جلّ هذه المناهج مستخلصة من لغات أخرى ذات مرجعيات فلسفية وإلحادية ووجودية؛ فكان الإشكال الذي وقعت فيه هذه الدراسات إهمال السياقات المحيطة بالنصوص القرآنية، والمرجعيات التي تشير إليها؛ مما أوقع هذه الدراسات في مغالطات وعثرات أُلبست على المتلقي وأخرجت الآيات عن أهدافها ومقاصدها الحقيقية؛ فوسمت أعمالهم بالنسبية والذاتية في التأويل.

لقد خُيِّل إلى بعض هؤلاء المفسرين الحداثيين الذين انطلقوا بعيدًا في هذه التفاسير أن السلطة في قراءة النص القرآني هي للقارئ، يتلقى النصوص ويؤوّلها منطلقًا بعقله (البشري)، ودوافعه الذاتية، وآرائه الشخصية في مصادرة صريحة لكتب التفسير المتواترة بجميع مدارسها، وغادر أذهانهم أن هذه التفاسير تنطلق من ثوابت دينية ترى وجود معنى واحد في النصوص أودعها الله- عز وجل- في كتابه، ولا ينبغي للمفسر أن يتجاوز هذه النصوص وسياقاتها؛ ومن ثَمَّ فسلطته النصية ليست مطلقة، بل نسبية منضبطة بقوانين تضبط التلقي القرآني.

لذلك أوجدت هذه الدراسات الحداثية المنفلتة من عقال المرجعية، توجسًا وقلقًا عند المتلقي، خاصة أنها تتحرر من قيود التفسير التقليدي، وتتخطى الأصول والثوابت عند المفسرين القدماء.

لقد برز هذا التوجه في تلقي النصوص الدينية المقدسة في الثقافة الإسلامية باجتهادات محمودة تسعى إلى استخراج معالجات لأدواء المجتمع الإسلامي المعاصر، وحلول لها من (القرآن الكريم). كما برزت عند بعض الدارسين بوصفها أثرًا لبروز اتجاه غربي في القرن السابع عشر على يد الفيلسوف الهولندي (سبينوزا، ت ١٦٧٧م)[(١)]؛ حيث أراد الكشف عن المغالطات في النص المسيحي المقدس، وإبعاد التحريف عن الكتاب المقدس، وخلصت دراسته إلى أن النصوص الدينية المسيحية لم تُكتب في عصر واحد لجمهور واحد، بل كتبها أكثر من مؤلف وفي عصور متعاقبة تراعي ظروف كل عصر، وعلى مدار قرون عدة، وهو ما فسر الاختلاف بين الأسفار والتفاسير لتلك الكتب؛ لعدم وحدة المصدر والمرجع. ونتج عن الدراسة دعوة المناصرين لأفكاره إلى التحرر الكامل من جميع الأفكار المسبقة، والآراء المعهودة، والقيم السابقة، والانطلاق برؤية متحررة دون مرجعية[(٢)].

(١) سبينوزا: فيلسوف هولندي. وُلد عام ١٦٣٢م من فلاسفة القرن السابع عشر، من أشهر مؤلفاته كتاب (الأخلاق)، وفيه عارض ثنائية العقل والجسد لديكارت، تُوفي عام ١٦٧٧م. انظر للاستزادة: كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة)، ترجمة د. حسن حنفي، مراجعة د. فؤاد زكريا، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م.

(٢) الجابري، محمد عابد، في قضايا الفكر والدين (مجلة مقدمات، العدد ١١، ١٩٩٧م) وانظر أيضًا لتوسيع هذه القضية:
أندلسي، محمد أركون، وتحليل الخطاب الديني: النص القرآني نموذجًا (مجلة الأزمنة الحديثة، العدد ٣، ٢٠١١م).

إن مثل هذه الدراسات دفعت بعض أصحاب القراءات الحداثية للقرآن الكريم إلى تهميش ما قدَّمه المفسرون من اجتهادات، وما نقلوه من مأثور، وما أسهموا به من مشاركة اتسمت بالانضباط بقواعد التفسير ومرجعياته، بدعوى أن النصوص متساوية بعيدًا عن أنواعها ومصدرها، وهي مساواة تخضع النصوص كلها- دون استثناء- إلى النقد والتفكيك والتلقي ورفع القداسة؛ بعدّها نصوصًا كبقية النصوص البشرية وهي قضية بسط الدكتور أحمد الطعان في كتابه (العلمانيون والقرآن الكريم) الحديث عنها؛ حيث أشار إلى إخضاعهم النص القرآني للمنهج التاريخي الذي يحدّ من صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، ويعدّه خطابًا محددًا(١).

كما تولت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة شعيب الدكالي في المغرب طرح هذه القضية في مؤتمر أقامته بعنوان (القراءات المعاصرة للقرآن الكريم)(٢)، حذر المؤتمرون من المخاطر العقدية، والتشريعية لمثل هذه القراءات التي تجعل العقل متعاليًا عن النص، وموجِّهًا لحمولته الدلالية.

(١) الطعان، أحمد، العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص (الرياض: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٧م)، ص ٧٣.

(٢) انظر: سجل المؤتمر المنشور (القراءات المعاصرة للقرآن الكريم)، جامعة شعيب الركالي (مدين الجديدة، المغرب، إبريل ٢٠١١م).

ووقف الدكتور محمد بنعمر بن الطاهر في دراسته (التأويلات الجديدة وقراءة النص القرآني)[١] على الآليات التي يستند عليها أصحاب هذه المنهجيات، وحصرها في ثلاث:

١- مصادرة القواعد والمعايير الحاكمة للتخاطب لنسبيتها.

٢- معيارية المعنى في النص.

٣- تقطيع النص القرآني.

لقد كرّس أصحاب هذه المنهجيات الدعوى لتعدد المعاني في مقابل المعنى الواحد الذي كرسته التفاسير القديمة، والذي أدى إلى عدم الكشف عن المعنى الحقيقي في النص القرآني كما يرون[٢].

ولا نطيل الحديث عن القضية التي أخرت الدراسات المنهجية للقرآن عقودًا عدة، التي تجعلنا —هنا— نؤكد مسألة مهمة عند تلقي آيات القرآن الكريم بوصفها نصًّا مقدسًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي ضرورة الوقوف عند الضوابط التي أصَّلها العلماء والمفسرون والأخذ بها[٣]، وإلا فنحن أمام تأويلات لا يمكن الوثوق فيها أو الركون إليها.

(١) الطاهر، محمد بنعمر، التأويلات الجديدة وقراءة النص القرآني، دراسة منشورة على موقع الدعوة www.diae.net، تاريخ المشاهدة ١٥/١١/٢٠١٧م.

(٢) انظر: أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص دراسات في علوم القرآن (الدار البيضاء — بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٤م).

(٣) البوطي، سعيد رمضان، جنون القراءة المعاصرة للنص القرآني (باريس، المركز الثقافي الفرنسي، ٢٠٠١م)، ص٧٥.

المبحث الأول: القصة القرآنية والتشاكل: المفهوم والمصطلح

القصة القرآنية والدرس الأدبي:

لا بد في البداية أن نعي فرقًا جوهريًّا بين القصة في مفهومها الأدبي والقصة القرآنية، فالقصة الفنية عمل بشري يخضع لمقتضيات القص الفني، وتجنح إلى التهويل والأساطير والخيالات، وتوزع الزمن، وتحدد المكان وفق أهداف القصة ورؤية المؤلف، أما القصة القرآنية فهي "الهيئة التي لا تجنح إلى الأسطورة، ولا إلى عالم الخيال الجانح، وليست مجرد عمل فني لا يهتم إلا بتوزيع الزمن وتأليف الأحداث، فهي قصة حقيقية وقعت في الماضي أو غير مستحيلة الوقوع... (١)".

تنوعت مواضيع القصص القرآني بين إخبار وإعلام، وتحذير وإنذار، وهي في كل الأحوال لم تكن أعمالًا فنية مطلقة، وإنما وسائل وأدوات لإبلاغ الدعوة، وإرسال المواعظ، ومواساة الرسول -عليه أفضل الصلوات والتسليم-، فتحدثت عن السنن الإلهية في المجتمعات، وجسدت الوقائع والأحداث، في تسلسل ووضوح سواءً وقعت أو ستقع، عن أقوام لا يتحدثون العربية، فأتت لغة السرد والحوار في هذه القصص واضحة دقيقة أسهمت في فهمها واستيعابها من خلال سياقاته الأصلية بصورة متوازنة ومنسجمة لا خلل فيها، وهو ما تؤكده الدراسات اللغوية الحديثة عند روادها ك (رومان جاكبسون، ت

(١) البيدق، سالم، السرد القرآني خصائصه وتقنياته المجلة الجامعة (الجزائر: جامعة الزاوية، إبريل ٢٠١٤م) العدد ١٦.

١٩٨٢)[١] الذي يرى أن "المتكلم بلغته الأصلية أو لغة أخرى مكتسبة يعي تمامًا الوظائف التي تؤديها عناصر الصوت، ويحلل بوعيه صورة الصوت إلى سماتها الدالة على التنوع، معتمدًا على مصادر معرفية تستخلص السمات المميزة دلاليًّا، والمتشاكلة داخليًّا[٢]".

وتُعد قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام -من أبرز قصص القرآن التي تراوحت بين القصة والخبر، والموقف التربوي والمشهد المؤثر إجمالًا وتفصيلًا؛ ترسيخًا للموعظة والعبرة في النفوس، وتحريكًا للعقل والخيال في الوقت ذاته.

وهي قصص انتظمت في القرآن الكريم وفق خطابين:

الأول: متكامل؛ بحيث ترد سورة كاملة في موطن واحد ساردة أهم الأحداث والمواقف في أسلوب تربوي جميل كقصة يوسف، وقصة سليمان -عليهما السلام-.

والآخر: منثور في سور عدة؛ بحيث يتحدث عن القصة بمواقف إخبارية، وصياغة سردية في سياقات أخرى.

والطريقة التي يعرض بها القرآن الكريم ما ورد فيه من قصص -بخاصة قصص الأنبياء -لا تزال تمثل قضية شغلت الباحثين خاصة في مسألة انتظام

(١) رومان جاكبسون: عالم لغوي وناقد روسي من رواد المدرسة الشكلية الروسية، عُني في دراساته بتطوير التحليل التركيبي للغة، توفي عام ١٩٨٢م.

(٢) المسدي، عبد السلام، مباحث تأسيسية في اللسانيات، تونس: مطبعة دار الكتاب المتحدة، ٢٠١١م، ص ١٦٥.

الأجزاء المنثورة في السور الكريمة، وتسعى الدراسة إلى اختبار إحدى الآليات السيميائية (التشاكل) في تفسير الانسجام الذي تبرزه هذه الأجزاء في سياق السورة الواحدة، وقبل الولوج في تطبيق معطيات (التشاكل) على الآيات القرآنية لا بد من الوقوف على المفهوم في الدرس النقدي المعاصر، وتطويعه؛ ليمكن الإفادة منه في قراءة الانسجام الداخلي في القصص القرآني.

التشاكل بين مفهومه ومجاله:

ارتبط المصطلح في جانبه اللغوي بالتوازي والتجانس والتناظر في العلوم التطبيقية كالفيزياء والكيمياء، ثم نقله الناقد (غريماس، ت١٩٩٢) (١) إلى سيميولوجيا السرد بوصفه مفهومًا من مفاهيم تحليل الخطاب وتحقيق الانسجام، وهو المفهوم الذي يمكن تطبيقه على الجملة والخطاب والدلالة(٢). وبواسطة هذا المفهوم يمكن أن نعي "كيف أن كل النصوص تتحدد في مستويات دلالية منسجمة لمجموعة دالة(٣)".

(١) انظر: جوليان غريماس: فيلسوف لساني وسيميائي من أصول لتوانية، استقر في فرنسا وعمل في مدرسة باريس السيميائية، وله إسهامات في التأسيس للدراسات السيميائية.

(٢) نوسي، عبد المجيد، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

(٣) الغامدي، حنان عبد الله، التشاكل الروائي نحو انسجام دلالي (القاهرة: مجلة كلية دار العلوم، العدد ٨٨، ٢٠١٦)، ص ٣٣٣.

واقتصرت رؤية (غريماس) لهذا المفهوم على المستوى الدلالي السردي دون عناية بالشكل والصياغة، وهو الأمر الذي تنبه إليه (راستي)[١] فيما بعد؛ فوسَّع من مفهومه ليشمل محوري التعبير والتأويل[٢]، ثم أضافت جماعة (مو) في كتابها (بلاغة الشعر) إلى رؤية (راستي) عنايةً بالجانب التركيبي المتمثل في "سلامة القواعد من جهة، ومسألة الصدق في الأقوال من جهة أخرى"؛ لذا أكدت مطلبين ضروريين للتشاكل، وهما:

١- التراكم المعنوي لرفع إيهام القول، وإزالة غموضه.

٢- مهمة القواعد التركيبية والمنطقية بما فيها من مساواة وجمل[٣].

ثم قدَّم الناقد محمد مفتاح في كتابه (تحليل الخطاب الشعري) تصورًا مسهبًا للمصطلح يضم الجوانب المعنوية والشكلية إضافة إلى الجوانب التداولية، فعرَّف التشاكل على أنه "تنمية لنواة معنوية سلبيًّا أو إيجابيًّا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية؛ ضمانًا للانسجام[٤]".

(١) فرانسوا راستي: لساني فرنسي، اهتم بالدراسات اللسانية والسيميائية المعاصرة وقدمها في كتابه (فنون النص وعلومه) الذي ترجمه: إدريس الخطاب.

(٢) نوسي، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٣) كورتيس، جوزيف، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية (الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م)، ص ٨٨.

(٤) مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط الأولى، ١٩٨٥م)، ص ٢٥.

فـ"مفتاح" من خلال التعريف السابق يركز على النواة الدلالية التي تتسع وتتمدد وتتكرر سواء كانت فكرة أو جملة أو نصًّا مستنسخًا، وتتسم النواة بتراكم إما اختياري يخضع لحرية المبدع أو قسريّ تفرضه طبيعة اللغة ومكوناتها، وهنا يتسع المفهوم إلى الجوانب الصوتية والصرفية والتركيبية والإيقاعية والبلاغية والدلالية لتحقيق قدر من الانسجام والاتساق للنصوص.

وفي دراسة عبد المجيد نوسي يربط الناقد التشاكل بالتحليل الدلالي؛ للوصول إلى الانسجام مع الأخذ بالمقومات السياقية المتراكمة وفق قاعدة السياق المنسجم، أما على مستوى الأجزاء فإنه يربطه بالتوالد الذي يسعى إلى إبراز الآليات كخطاب من وحدات معجمية وتركيبية تقضي إلى مسارات تصويرية تحقق الانسجام داخل النص(١).

ويربط جميل حمداوي في دراساته حول المسرح الأمازيغي التشاكل بالحقل المعجمي من خلال الثيمات والحوافز الموسعة داخل النصوص بحيث لا تُفهم إلا عبر السياق الكلي للنص، ويرى أن "التشاكل بوصفه مفهومًا سيميائيًّا" يسعف الباحث في تحليل الخطاب دلالة، وصياغة، ومقصدية برصد المقومات المعجمية، والمقومات السياقية قصد توفير مقروئية منسجمة للنص(٢)".

وللإفادة من هذه الرؤى في دراستنا سنعمد إلى صياغة تصور نختبر معه كفاءة هذه الآلية لقراءة منسجمة للأجزاء المنثورة من قصص الأنبياء في السور

(١) نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص ١٠٨.

(٢) حمداوي، جميل، سيميوطيقيا الصور المسرحية (الرباط، دار نشر المعرفة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م)، ص ٤٧.

القرآنية، من خلال طرح تساؤلات مشروعة حول قاعدة انتظام هذه الأجزاء في سياق واحد.

وهو طريق واسع في الدرس القرآني يتسع لجهود كثير من الباحثين؛ كي يلجوا أبوابه لا سيما بعد التطور المشهود في الدراسات اللغوية، وتداخل أبوابها مع الدراسات البلاغية عند العرب.

وتحاول الدراسة ربط مشاهد القصص القرآني في السورة الواحدة من منظور السياق والمقام، والتشاكلات التي ترد فيها فـ "المعنى الحرفي غير كافٍ لفهم ما قيل؛ لأنه قاصر على إبداء الكثير من القرائن الحالية التي تدخل في تكوين المقام(١)".

التشاكل وقصص القرآن الكريم:

يأتي اختيار مشاهد من قصص الأنبياء في السور القرآنية وفق فلسفة خاصة لهذه السور بحيث يتناسب المشهد المختار مع متطلبات السياق، ومع إحداث دلالات جديدة في كل قصص جديد.

وحتى نصل إلى رؤية منهجية- يمكن أن نعمم نتائجها في قراءة منسجمة لمشاهد قصص الأنبياء في السورة الواحدة- وقع الاختيار على سورة الأعراف بعدِّها أول سورة عرضت بالتفصيل لقصص الأنبياء؛ حيث جمعت في سياقات متقاربة مشاهد لقصص ستة من رسل الله مقرّة بالتوحيد، ونابذة

(١) الفراهي، عبد الحميد، إمعان في أقسام القرآن، المكتبة الشاملة، ٣٨/١، ٣٩.

للشرك من خلال عرض تاريخي بشري للصراع بين الحق والباطل الذي وقع على الأرض؛ بدءًا بأبينا نوح -عليه السلام-، ثم هود، ثم صالح، فـ"لوط"، ثم شعيب، ثم موسى-عليهم السلام-. لقد أكدت السورة الكريمة على سنة من سنن الله في المجتمعات، وهي انتصار الحق على الباطل بعد صراعهما وفق مفهوم النصر الإلهي لأولياء الله بعد تمحيصهم وتعريضهم للبأساء والضراء، وهي كما أشرنا مشاهد لا تمثل قصصًا كاملة، يؤكد هذا ما تورده السورة الكريمة بعد عرض مشاهد القصص السابقة، يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾(١).

يقول الزمخشري – رحمه الله – فإن قلت: "ما معنى الإخبار عن القرى بـ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾، قلت معناه: إن تلك القرى المذكورة نقص عليك من أنبائها، ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك، فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا أولًا حين جاءتهم الرسل، وإنما استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين(٢)".

(١) سورة الأعراف: ١٠١.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف، حقَّقه وعلَّق عليه: الشيخ عادل أحمد عبدالجواد والشيخ علي محمد معوض، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط. د)، الجزء الثاني، ص ١٤٣.

والتساؤل الذي يثار في هذا المقام حول الضوابط التي تحكم هذا الانتظام للقصص القرآني في السياق الواحد، ما هي صورته؟ وما دلالاته؟

وللإجابة عن هذا تفترض الدراسة وجود ذلك النظم الذي يضبط هذه المعجزة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١).

منهجية قراءة التشاكل في النص القرآني:

إن تطبيق آليات التشاكل على المشاهد القصصية يجعلنا ملتزمين بمستوى واحد من مستويات التحليل السيميائي حيث نقترب من دلالات الخطاب في إطار المسار التوليدي والبنيات الخطابية، ولا تزعم الدراسة امتلاكها للمعرفة السيميائية القادرة على تطبيق المفاهيم الإجرائية، غير أن القراءة في تفاسير الآيات الكريمة أوجبت علينا النظر في آليات الخطاب واستكشاف دلالات المعنى من خلال التناظر والتشاكل بين الآيات الكريمة، ونحسب أن يعيننا هذا على التأمل في البيان الرباني، على أنه ينبغي أن نلتزم بأمور عدة:

١- إن قراءة وقائع القرآن وقصصه في إطار المعايير والتقنيات اللغوية يهدف بالمقام الأول إلى اختبار كفاءة هذه التقنيات، وتلك المعايير بعرضها على بلاغة القرآن وإعجازه، فإن استطاعت أن تفتح لنا باب فهم، وتقدم لنا

(١) سورة فصلت: ٤٢.

مشكاة طريق زادنا يقينًا بأهميتها، وإنْ عجزت عن ذلك وضعت في مكانة تستحقها واجتهادًا يشوبه الخطأ والصواب.

٢- التشاكل بوصفه آلية يرتبط بالتراكم السياقي في فهم الآيات القرآنية.

٣- التشاكل على مستوى التركيب، والدلالة يمثل احتواء للوحدات المعجمية، والمقومات السياقية التي تفضي إلى مسارات تصويرية تنظم الانسجام داخل الخطاب.

٤- للإفادة من آلية التشاكل في دراسة السرد يتم تقطيع العمل إلى مقاطع نصية متوالية، ثم نحدد المستوى التركيبي، والبرامج السردية، فالبنية العاملية على مستوى المسارات التصويرية.

المبحث الثاني: مظاهر التشاكل في قصص سورة الأعراف

مَنْ يتعمق في توالي قصص الرسل في السورة الكريمة تبرز أمامه حقول معجمية ودلالية متعددة يمكن حصرها في: حقل التوحيد، وحقل الصراع والاستكبار، وحقل الجزاء بحيث يفضي بعضها إلى بعض في بناء تراتبي.

فعلى مستوى التوحيد تبرز الدعوة بين طرفي الرسالة: المرسل ممثل في (الرسول)، والمرسل إليه (قومه)، والرسالة المحققة لتوحيد الله وإفراده بالعبادة هي مركز مفهومي منظم لخطاب التشاكل هنا، فالوحدات المعجمية للعبارة القرآنية: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

اعبد + وا + الله + ما + لكم + من إله + غيره.

هي وحدات معجمية مكررة تستوجب الخضوع والتسليم بالعبادة لله وحده، وحين تقترن بواو الضمير يصبح (واو الجماعة) دالًّا على مكرر في الخطابات الأربعة صراحة، وفي الخطاب الخامس مع موسى–عليه السلام– ضمنًا، فالبنية المتشاكلة التي تربط هذه الوحدات المعجمية على المستوى العمودي داخل الآيات تمثل نواة تتمركز الرسائل السماوية حولها مما ينتج لنا مسارًا يمكن تخيله في وقوف كل رسول مع قومه داعيًا إلى توحيد الله، وما يستتبع هذه النواة من ردود فعل، تكوّن لنا تراكمات قسرية لإجابة الدعوة.

ولتوضيح ذلك ينبغي ابتداء الوقوف عند العامل الذي يعود عليه ضمير (نا الفاعلين) في (أرسلنا)؛ حيث عطفت القصص على التوالي في هذه الرسالة، وعائد الضمير هو الذات الإلهية التي تنطلق منها الرسائل على النحو الآتي:

واستنادًا على ذلك يمكن تمثل العامل (نا) في الخطاطة الآتية:

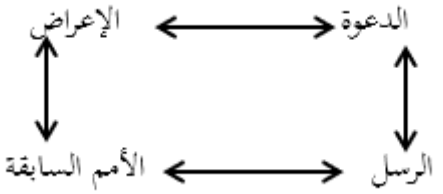

فالرسل يدخلون مع أقوامهم في جدال إثبات العبودية لله، والرسالة لهم (أبلغكم رسالات ربي+ أنا ناصح لكم أمين+ اذكروا إذ جعلكم خلفاء في الأرض+ زادكم في الخلق بسطة)، وهو جدال تتنوع أساليبه وتتحد غاياته في بقية القصص.

وينمو الخطاب الخاص بين الرسل وأقوامهم من خلال الحوارية والمناظرة، وما تمتاز به من إقامة تقابل بين طرفين، ولنلاحظ المناظرة بين نوح -عليه السلام- وقومه:

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

ثم يدخل نوح -عليه السلام -في جدال معهم... قال:

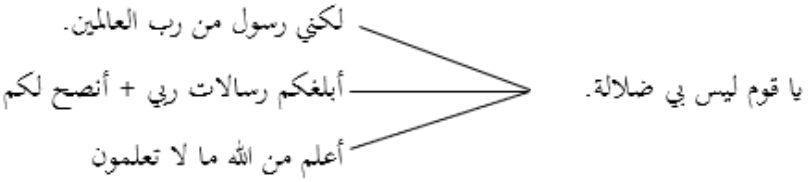

وهو النسق الذي يتكرر مع هود، وصالح، وشعيب، وموسى (عليهم السلام) في مسارات قد تطول وقد تقصر وفق السياق الذي ترد فيه سواءً كان السياق لغويًّا Linguistic context ينشأ في الآيات من خلال استعمال الكلمة في نظام الجملة متجاورة مع كلمات أخر، ومحددة بقرائن من المتلازمات الأسلوبية في النص، أو كان سياقًا غير لغوي Non Linguistic Context وهو سياق الحال أو السياق الخارج عن سياق اللغة كالسياقات النفسية أو الاجتماعية التي تفرض هيمنتها على النصوص(١).

ولنتأمل قصة هود مع قومه (عاد) بوصفه نموذجًا لنمو المسار التصويري في بنية التشاكل:

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) انظر لتفصيل هذه المصطلحات في الدرس البلاغي المعاصر: الشيدي، فاطمة: المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، ط ١، دمشق، دار نينوى، ٢٠١١م، ص٢٠ وما بعدها.

(٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)﴾[1].

فرسالة هود-عليه السلام- تتوحد مع رسالة غيره من الرسل-عليهم السلام- ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ثم تصطدم بردود أفعال متفاوتة يغلب عليها طابع الإنكار، وهو إنكار يتعزز بالاستكبار والاستعلاء ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ أي أشراف القوم وعليتهم- فـ(الملأ) وحدة معجمية دالة تكررت مع الرسل جميعًا باستثناء لوط-عليه السلام-، وهو ما يحيلنا إلى سياق المقام؛ ففعل قوم لوط شنيع غير مسبوق ﴿أَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ ما سَبَقَكُم بِها مِن أَحَدٍ مِنَ العالَمينَ﴾، فهم رواد فساد عالمي منافٍ لكل الفطر السليمة؛ ولذا كان الإنكار في الآية يتوازى مع عظم الذنب ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ فالتوكيد بالنون واللام إثبات للذنب العظيم ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾؛ أي تغشونهم للاشتهاء فلا حامل لكم إلا ذلك من غير داعٍ، ولا ذنب لهم أعظم من ذلك لمقتضى

(١) سورة الأعراف: ٦٥-٧٢.

البهيمية الغالبة عليهم، فقوم تغلب على سلوكهم فعل البهائم لا إشراف لهم بل هم سواء في الذلة والهوان بعضهم من بعض.

إذن خروج مشهد من المشاهد يتوقف على سياقه، وإلا فالعموم في مسارات متقاربة في عرض دعوتهم، ولين جانبهم، وعدم مجاراة سفهائهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ – ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ – ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ - ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ – ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا– رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾.

ثم يدخل رسل الله مع أقوامهم في جدال إثبات العبودية لله والرسالة لهم ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ - ﴿أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ - ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ - ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ وهو جدال تتنوع أساليبه، وتتحد غاياته في بقية القصص.

وردود العصاة واحدة (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ تكشف لنا تباعًا عن أسباب الضلال عن طريق الحق، فبعد استكبارهم تأتي مجاراتهم لآبائهم بعد تغلغل الكفر في نفوسهم. والصراع المتولد عن الدعوة يستوجب التحدي عند الإنكار، واستعجال العذاب: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فالوحدة المعجمية (آتنا) من الأدنى للأعلى تستوجب الاستخفاف والتحدي الذي يتعزز بإضافته إلى (نا) الفاعلين، وهو استعمال لكل الطغاة الذين يغترون بحلم الله عليهم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ﴾، ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ فتأتي النتائج

مباشرة: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾؛ أي: حق ووجب، فجعل المتوقع الذي لا يقين من نزوله بمنزلة الواقع ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾، فنزل العذاب ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وهو استعجال للعقوبة لم يسلم من سؤاله قوم من السابقين تصريحًا أو تلميحًا، فالتكذيب عند قوم نوح استخفافًا بالعقوبة الموجبة ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وثمود بالغوا في الإعراض ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، وقوم لوط همّوا بإخراجه ومن معه من القرية؛ ضجرًا بهم وبوعظهم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال وأدبار النساء، وهو أمر ثقيل على الفاسقين، وقوم شعيب يحذرون من اتباعه فمآل اتباعه الخسارة التي لا يجليها إلا وقوع العذاب: ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾.

وتتشاكل النهايات حول مصير العصاة: فقُطع دابر المكذبين من قوم هود، وأُغرق قبلهم قوم نوح، وأخذت الرجفة قوم صالح وشعيب؛ فأصبحوا في ديارهم جاثمين بلا حراك، وقوم لوط أُرسل عليهم مطر عجيب من حجارة سجيل، فخُسف بالمقيمين وأُمطر فيها المسافرون، وقوم موسى حلت عليهم ويلات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ثم الغرق في أليم، والذلة في الحياة الدنيا، لتأتي هذه النهايات كلمة الفصل لكل عاصٍ، ومكابر على مدار التاريخ البشري.

لقد سارت الأمم السابقة في مسارات متشاكلة من التكذيب والإنكار والاستهزاء والتحدي، وبهذا يكون النمو المتناظر في القصص يسير وفق الخطاطة الآتية:

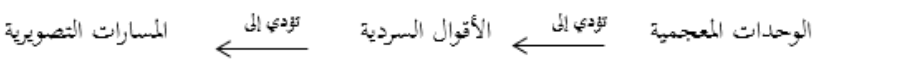

وهو ما يمكن تمثله في الجدول الآتي:

التشاكل	المسارات	الأقوال السردية (مجموع الوحدات المعجمية)					
		نوح	هود	صالح	لوط	شعيب	موسى
الدعوة	١-الأمر بعبادة الله وحده	اعبدوا الله +ما لكم من إله غيره	اعبدوا الله + ما لكم من إله غيره	اعبدوا الله + ما لكم من إله غيره	–	اعبدوا الله + ما لكم من إله غيره	إني رسول من رب العالمين + لا أقول على الله إلا الحق+ فأرسل معي بني إسرائيل
	٢-رد الفعل على الدعوة	قال الملأ: من قومه +إنك في	قال الملأ: من قومه + إنا لنظنّك من الكاذبين	قال الملأ: الذين استكبروا + إنا بالذي آمنتم به	–	قال الملأ: لنخرجنّك يا شعيب من قريتنا + أو لتعودنّ في	قال الملأ: إن هذا لساحر عليم + أرجه + أرسل في

التشاكل	المسارات	الأقوال السردية (مجموع الوحدات المعجمية)					
		نوح	هود	صالح	لوط	شعيب	موسى
		ضلال مبين		كافرون		ملتنا	المدائن حاشرين

جدول (١) تشاكل العبادة

فالوحدات المعجمية لدعوة الرسل وإفراد الله-عز وجل-كوَّنت ردود أفعال متراكمة لم يكن الطابع الغالب عليها الرضوخ، وإنما المقاومة التي أعانت المقومات السياقية في المجتمعات والبيئات على تكثيف قراءتها وانسجامها، فتمثل تشاكل العبادة في كافة القصص.

وهو ما يمكن تجسيده في الخطاطة الآتية لتحقيق العبادة، التي تلعب المعجزات فيها دور المعين الذي يعيق عمله مجموعة من العوائق:

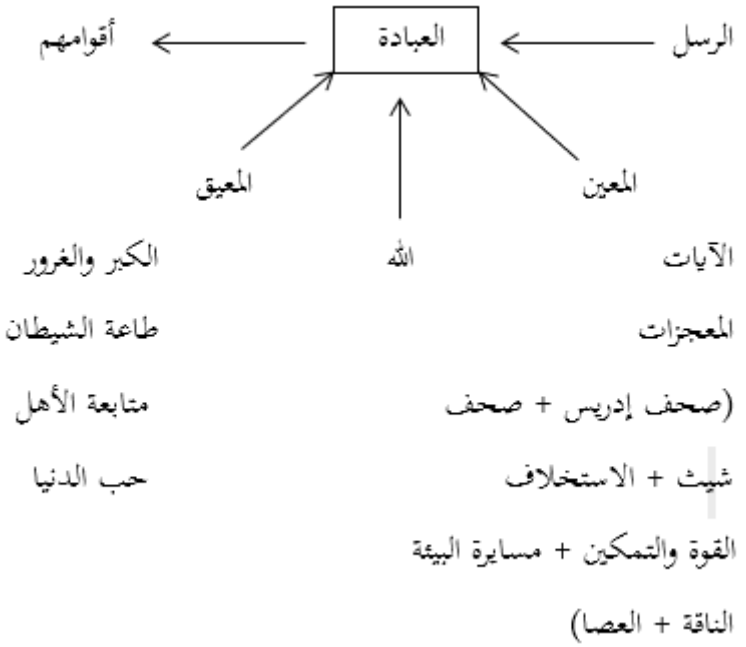

٢-تشاكل الصراع بين الحق والباطل:

وهو التشاكل الأبدي بين الخير والشر، ويمكن تمثله في قصص سورة الأعراف من خلال الجدول الآتي:

التشاكل	المسارات	الأقوال السردية (مجموع الوحدات المعجمية)					
		نوح	هود	صالح	لوط	شعيب	موسى
الصراع بين الحق والباطل	١-جدال الأنبياء مع أقوامهم	ليس بي ضلالة + رسول من رب العالمين +	إنا لنراك في سفاهة + ليس بي سفاهة	اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد +	أتأتون الفاحشة + ما سبقكم بها من أحد من	أو لو كنا كارهين + قد افترينا على الله	قالوا يا موسى + إما أن تلقي + أن نكون

التشاكل	المسارات	الأقوال السردية (مجموع الوحدات المعجمية)					
		نوح	هود	صالح	لوط	شعيب	موسى
		أبلغكم رسالات ربي + أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم	+ ولكني رسول من رب العالمين	بوأكم في الأرض + تتخذون من سهولها قصورًا + تنحتون الجبال بيوتًا	العالمين + تأتون الرجال شهوة + قوم مسرفون	كذبًا + إن عدنا في ملتكم + على الله توكلنا	نحن الملقين + قال ألقوا + سحروا أعين الناس
	٢- التحدي	كذبوه	ائتنا بما تعدنا + إن كنت من الصادقين	عقروا الناقة + عتوا عن أمر ربهم + ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين	أخرجوهم من قريتكم + إنهم أناس يتطهرون	لئن اتبعتم شعيبًا + إنكم إذًا لخاسرون	مهما تأتنا به من آية + لتسحرنا بها + ما نحن لك بمؤمنين.

جدول (٢) تشاكل الصراع بين الحق والباطل

ويمكن تجسيد معطيات الجدول السابق في الخطاطة الآتية التي تصور واقع الصراع الأبدي بين الحق والباطل للحصول على خلافة الأرض، وهي الرسالة التي يعوقها اتباع الهوى وحب التملك والاستعلاء في الأرض:

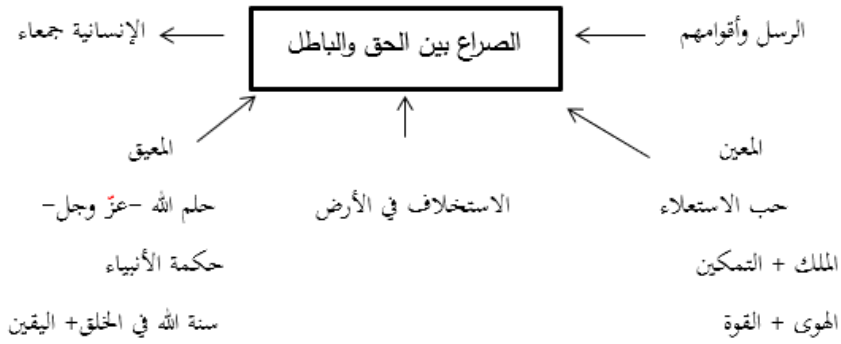

ثالثًا: تشاكل النهاية:

وهو التشاكل الذي تجتمع فيه صور العذاب للأمم السابقة بعد الإعراض والاستكبار، ويمكن تمثله في الجدول الآتي:

التشاكل	المسارات التصورية	الأقوال السردية (مجموع الوحدات المعجمية)					
		نوح	هود	صالح	لوط	شعيب	موسى
النهاية	١-الانتقام الإلهي من الطغاة	أغرقنا الذين كذبوا	قطعنا دابر الذين كذبوا	أخذتهم الرجفة + أصبحوا في ديارهم جاثمين	أمطرنا عليهم مطرًا + كيف كان عاقبة المجرمين	أخذتهم الرجفة + أصبحوا في ديارهم جاثمين	فانتقمنا منهم + فأغرقناهم في اليم + دمرنا ما كان يصنع فرعون + سينالهم غضب من ربهم وذلة + قطّعناهم في

التشاكل	المسارات التصورية	الأقوال السردية (مجموع الوحدات المعجمية)					
		نوح	هود	صالح	لوط	شعيب	موسى
							الأرض أممًا
	٢-نصرة الأنبياء	أنجيناه والذين آمنوا معه	أنجيناه والذين معه	تولى عنهم + قال لقد أبلغتكم رسالة ربي + نصحت لكم + لكن لا تحبون الناصحين	فأنجيناه وأهله إلا امرأته	الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين	غضب موسى وأسفه + سؤال الله – عز وجل – المغفرة والرحمة له ولأخيه.

الجدول (٣) تشاكل النهاية

ويمكن تمثل النهايات السابقة للرسل مع أقوامهم من خلال الخطاطة الآتية:

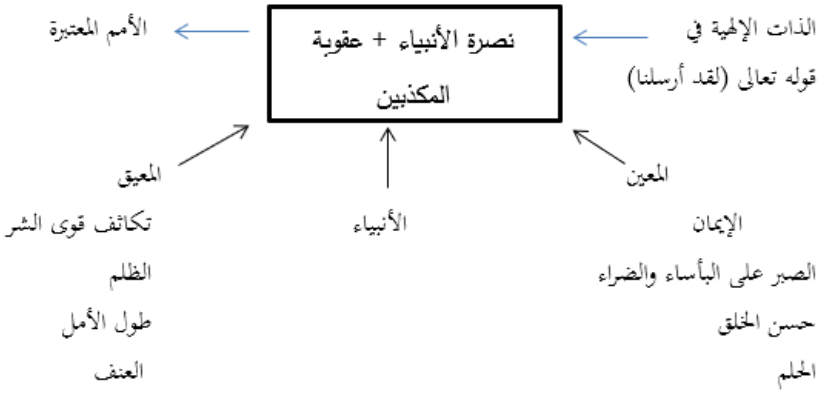

وهكذا، تسهم المقولات المتشاكلة في تكوين رؤية منسجمة للقصص القرآني بفعل التراكم القسري الذي فرضته طبيعة الصراع بين الضلالة والهداية،

والظلام والنور، وطبيعة الحياة الاجتماعية لمجتمعات القصص، والدلالة العميقة التي نصل إليها في النهاية تعزز البنيات السطحية التي كوَّنت خطاب القصص من خلال المسارات التصويرية في كل قصة. ووفق علاقة الاستلزام التي عُقدت بين ثيمتي[1] (الدعوة– الاستجابة) في مستواهما التصويري وهو ما يستدعي علاقة استلزام أخرى بين ثيمتي (العذاب– الهلاك) في السياق ذاته، فإن كان المستوى التصويري يُعنى بالدال في الفضاء الدلالي فإن المستوى الثيمي (المحتوى) يُعنى بالمدلول الذي يتحقق في صور متعددة حيث عُذِّب قوم نوح بالطوفان، وعاد بالريح الصرصر، وثمود ومدين بالرجفة، وقوم لوط بالحاصب، وآل فرعون بالإغراق. وبهذا فالمستوى التصويري لا ينفك عن الدلالة في المستوى الثيمي، وهو ما يمكن تمثله في تجليات المربع الآتي لهذه العلاقة:

السعادة الشقاء

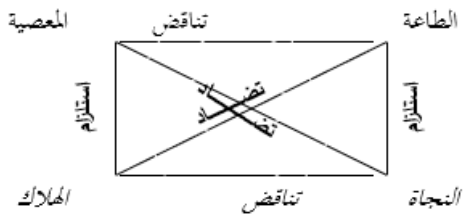

+ الجنة –النار

(١) الثيمة: هي كلمة لاتينية يُراد بها الفكرة الأساسية أو التكوين الرئيس للجملة أو النص، ويمكن أن تشير إلى مجموعة كلمات تنتمي إلى حقل واحد لإعطاء دلالة معينة، وهي عماد الدراسات الموضوعاتية، ينظر للاستزادة: الرويلي، ميجان وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط (٥) بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م، ص ٣٢٢.

فالمربع السابق يوزع المعطى الدلالي لقصص الأنبياء في سورة الأعراف في مجالين دلاليين متناقضين بناءً على ما يؤسسه التضاد القائم بين الطاعة والمعصية.

فالمجال الأول: يمثل الطاعة ومتضمنه (النجاة) وما ينشأ عن اجتماعهما من سعادة، وهو مجال إيجابي حيث ينطلق من عالم الطاعة التي يتحدد أفرادها على مستوى خطاب الحكايات (نوح – صالح – هود – شعيب – لوط – موسى)-عليهم السلام-لا على مستوى الشخصيات فقط، وإنما الأحداث أيضًا، والمجال الآخر هو المجال الذي يمثل (المعصية) ومتضمنها (الهلاك) وما ينشأ عن اجتماعهما من شقاء يتمثل في الكفر والإعراض والتكذيب من الأمم السابقة، وهو مجال سلبي.

الخاتمة:

سعت الدراسة إلى محاولة التجديد في تلقي القصص القرآني، واستجلاء بنيته النصية من خلال قصص الأنبياء والرسل في سورة الأعراف، وخلصت إلى جملة من النتائج منها:

١- أن دراسة القرآن الكريم دراسة كلية منسجمة تفتح مجالًا رحبًا للدراسات القرآنية الحديثة للكشف عن مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

٢- أن التلقي السليم لقصص الرسل والأنبياء في القرآن لا يتحقق للدارسين إلا بالأخذ بشروطه وضوابطه في كتب أصول التفسير، وعند المفسرين.

٣- التأكيد على أهمية المقام والسياق لكل قراءة منهجية للتشاكل في القرآن الكريم.

٤- الأصل في انسجام القصص القرآني هو الاعتماد على القرائن اللفظية والحالية في النصوص.

٥- أسهم التشاكل بوصفه آليةً من الآليات السيميائية في تقديم صورة منسجمة لقصص الأنبياء والرسل في سورة الأعراف بحيث يمكن استثمارها في قراءات منسجمة لقصص الأنبياء والرسل في سور أخرى، كما قد تسهم في كشف الانسجام الداخلي مع الأغراض الكلية للسورة الواحدة.

التوصيات:

١- الإفادة من آليات المنهج السيميائي في قراءة علامات القصص في القرآن الكريم ودلالاته.

٢- الدعوة لاستغلال التشاكل في تصميم برامج لحفظ القرآن الكريم والتمييز بين متشابهه.

٣- إنجاز دراسات تنطلق من كتب التفسير، وتتسلح بالدراسات النقدية الحديثة؛ للإسهام في تقديم قراءات حديثة للخطاب القرآني.

المصادر والمراجع:

١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٩٩٧)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي محمد السلامة، الطبعة الأولى، الرياض: دار طيبة للنشر.

٢- أبو زيد، نصر حامد (١٩٤٤م)، **نقد الخطاب الديني** (الطبعة الثانية)، القاهرة: سينا للنشر.

٣- (٢٠١٤م)، **مفهوم النص دراسات في علوم القرآن**، (ط د)، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

٤- البيدق، سالم (٢٠١٤م)، **السرد القرآني خصائصه وتقنياته المحلية**، المجلة الجامعة، جامعة الزاوية، العدد ١٦ إبريل.

٥- البوطيّ، سعيد رمضان (٢٠٠١م)، **جنون القراءة المعاصرة للنص القرآني**، باريس، المركز الثقافي الفرنسي.

٦- الجابريّ، محمد عابد (١٩٧٧م)، **في قضايا الفكر والدين**، مجلة مقدمات، العدد ١١.

٧- حمد، عبدالله خضر، **الانزياح التركيبي في النص القرآني دراسة أسلوبية**، عمان: دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

٨- الحمدانيّ، عبدالقادر عبدالله (٢٠١٤)، **سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

٩- حمداوي، جميل (٢٠١٣م)، **سيميوطيقيا الصور المسرحية**، الطبعة الأولى، الرباط، دار نشر المعرفة.

١٠- خشيف، سعاد كريم (٢٠١١)، **التشاكل الصوتي القرآني وأثره في تكثيف الدلالات**، مجلة جامعة ذي قار، العدد الثاني، المجلد السادس.

١١- الرويلي، ميجان وسعد البازعي (٢٠٠٧)، **دليل الناقد الأدبي**، الطبعة الخامسة، بيروت- الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي

١٢- الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر (١٩٩٨)، **الكشاف**، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان.

١٣- سهام، صياد (٢٠١١)، **التشاكل الصوتي في القرآن الكريم**، مجلة جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، مجلد ٣٠ العدد ٤.

١٤- الشرع، عدوية عبد الجبار (٢٠١٠)، **العلاقات الدلالية في التعبير القرآني في سياقاتها المختلفة**، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد الثاني.

١٥- الشيديّ، فاطمة (٢٠١١م)، **المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب** (الطبعة الأولى)، دمشق، دار نينوى.

١٦- الطاهر، محمد بنعمر، **التأويلات الجديدة وقراءة النص القرآني** (٢٠١٧) دراسة منشورة على موقع الدعوة www.diae.net، تاريخ المشاهدة ٢٠١٧/١١/١٥م.

١٧- الغامديّ، حنان عبد الله (٢٠١٦م)، **التشاكل الروائي نحو انسجام دلالي**، القاهرة، مجلة كلية دار العلوم، العدد ٨٨.

١٨- الفراهيّ، عبد الحميد (٢٠١١م)، **إمعان في أقسام القرآن**، المكتبة الشاملة. موقع المكتبة على الشبكة: www. tafsir. org/book

١٩- كروتيس، جوزي (٢٠٠٧م)، **مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية**، (الطبعة الأولى)، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون.

٢٠- المسديّ، عبد السلام (١٩٩٧م) **مباحث تأسيسية في اللسانيات**، ط (د)، تونس، مؤسسة عبدالكريم عبدالله للنشر والتوزيع، ١٩٧٧م.

٢١- مفتاح، محمد (١٩٨٥م)، **تحليل الخطاب الشعري**، (الطبعة الأولى)، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

٢٢- نوسي، عبد المجيد (٢٠٠٢م)، **التحليل السيميائي للخطاب الروائي**، (الطبعة الأولى)، البنيات الخطابية، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، المدارس.